الجوانب الدلالية للفعل المضارع في القرآن الكريم

الطالب: جيلالي جلول **إشراف الدكتور: بن شريف محمد .[1]**

جامعة ابن خلدون تيارت

ملخص:

يعتبر الفعل المضارع من صيغ التي لها أبعاد دلالية خصوصا في القرآن الكريم وتأثيره الكبير على المتلقي، ذلك قصد تحفيزه وجعله متتبعاً للأحداث والوقائع بمختلف أطوارها، وهاته الأبعاد الدلالية الهادفة تتجسد بفضل قرائن نجدها مع الفعل المضارع أحياناً و تنفك عنه أحياناً أخرى ليساير الاتجاه الزمني لتحديد الدلالة، وكل هذا له تأثيراته وتجلياته على القارئ لأنه يتعايش مع كل الظروف الحياتية (النفسية، الاجتماعية، السياسية، ...)، لأنه في أي لحظة قد يتفاعل معها.

فالمتأمل للجوانب الدلالية للفعل المضارع في القرآن الكريم يجد أنها موجهة إلى العقل والروح والفكر والعاطفة، وبفضل الصيغ الموجودة في القرآن الكريم تتشكل شحن دلالية متناسقة ومسايرة للنسق الطبيعي للغة فيصبح للدلالة هنا لها قيمة لغوية وظيفية يرتقي بالعمل الأدبي إلى سمو الأسلوب اللغوي الراقي.

Résumé:

Le présent de l'indicatif est considéré comme l'un des modes ayant des dimensions significatives toutes particulière dans le saint cran par sen influence sur le récepteur et ce dans le but de le motiver et de lui faire suivre avec ardeur des évènements et des faits.

Ces dimensions significatives et objectives se réalisent par leur coexistance avec le présent de l'indicatif et par fois même en son absence. et ce la se manifeste par son impact sur le lecteur et sa vie quotidienne (psychologiques, sociales, politiques ...) L'étude des aspects significatifs du présent dans le saint coran est axée sur la conscience, l'âme, la pensée et les émotions.

Les expressions coraniques, de par leur harmonie et leur cohésion avec la langue font que la sémantique acquient une valeur linguistique fonctionnelle qui permet de qualifier tout acte littéraire de "soutenu".

الكلمات المفتاحية: الفعل المضارع، الدلالة، الزمن.

[1] - تاريخ الإيداع: 2016/03/13 تاريخ الموافقة:2016/03/30

مقـــــدمة:

تعتبر اللغة العربية أكثر تداولاً من بين اللغات لغزارة مادتها وقدرتها على استيعاب الدلالات، فإن منطقية تداولها أساسية بصورة ثابتة ومستمرة في كل تمظهرات الخطابية فهي تمس نفسيته وميدانه الاجتماعي وحتى مستقبله -الغيبية في أموره- وذلك وفق مرجعيته التي يعتمد عليها المتلقي -القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة- التي قوت اللغة العربية وجعلتها في أعلى المراتب.

والفعل المضارع هو من وسائل الإقناع والإبداع وما فيه من جمالية تعبر عن كل ما يجول في ذهن السامع أو القارئ وتلبي كل حاجياته حتى الروحية؛ إذاً ماهي أبعاد الدلالية الناتجة عن الفعل المضارع؟ وما أثرها في تنمية البنية المعرفية لدى القارئ؟

للإجابة على هذه التساؤلات يجب أن نتطرق إلى مايلي:

ماهية الفعل المضارع:

الفعل المضارع (يفعل) مشتق من الفعل (فعل) وهذا "البناء من ناحية الضبط البنائي إذ أن بناء (يفعل) مشتق من بناء (فعل)، وهي فكرة مرتبة منطقياً على أساس من المعنى ... برروا بها للمتقدم والمتأخر؛ فالمضي أسبق من الحاضر؛ فيكون بناء الماضي، ثم يليه البناء الذي يشترك فيه الحال والاستقبال ويرجع البناء للحال بشكله ويصرف إلى الاستقبال بقرائن"[1] وهو هنا يدل على حدث يحمل في طياته دلالة زمنية ماضية أو حالية أو تفيد الاستقبال "والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب"[2]

دلالة الفعل المضارع:

أما دلالة الفعل المضارع فنجده يدل على "البعد والقرب والانقطاع والاتصال والتجدد والانتهاء والاستمرارية والمقاربة والشروع والعادة والبساطة"[3] وبهذه الدلالة نجد الفعل المضارع له ميزة تثري لنا الجانب الدلالي.

الجوانب الدلالية للفعل المضارع:

جاء الفعل المضارع في القرآن الكريم معدولاً زمنياً مما فتح المجال الدلالي أمامنا ونذكر منها:

---

[1] ـــ اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية محمد عبد الرحمن الريحاني، دار قباء، القاهرة، (د ، ط)، (د ، ت)، ص: 875.

[2] ـــ معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط2، 1428هـ، 2007م، ص: 9.

[3] ـــ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، (د ، ط)، (د ، ت)، ص: 245.

1- دلالته على الماضي:

1-1- دلالة على عظمة البيت:

قال تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) }[1] سياق الآية يستحضر صورة بناء الكعبة وهنا تذكير لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه فَهما في عمل صالح ويسألان الله تعالى أن يتقبل منهما[2]، فصيغة المضارع -يَرْفَعُ- دلالة على رفعة الأرض الشريفة (الكعبة) التي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وأثر صيغة المضارع تحمل لنا عدة دلالات باعتبار القصة ماضية يقول الألوسي في هذه الدلالة "وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية استحضاراً لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبنى فيعظموه"[3] وذلك لكي يتعظ الناس بها وما فيها من عبر أي بالرغم من أن إبراهيم وإسماعيل أنبياء الله وقاموا بعملية البناء بمشيئته سبحانه وتعالى ولا يزالون يدعون الله بأن يتقبل أعمالهم ففي هذا إرشاد بأن المسلم يجب أن يكون قلبه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى.

والإشارة الزمنية التي تدل على أن الفعل المضارع دال على الماضي هي القرينة التي لحقت بصيغة المضارع وهذا ما دل عليه الطاهر بن عاشور حين قال: "وكلمة إذ قرينة على هذا التنزيل لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي وهذا معنى قول النحاة أن إذ تخلص إلى الماضي"[4] وقد أشار أيضاً -محمد الطاهر بن عاشور- أن الفعل المضارع هو لاستحضار الحالة التي وقعت في الماضي وذلك في توجيهه البلاغي حين قال: "هنا استعارة تبعية بالحال لشهرته ولتكرر الحديث عنه بينهم فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة فشبه الماضي لذلك الحال ولأن ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم من قوله: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ }[5] إلى هنا مما يوجب امتلاء أذهان

---

[1] _ البقرة / 127

[2] _ :ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرسي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السلامة، إعداد: سلطان بن محمد بن سعود الكبير، دار طيبة، السعودية، ط1، 1418هـ، 1997م، ط2، 1420هـ، 1999م، ج1، ص: 427.

[3] _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د ، ط)، (د ، ت) ج1، ص: 383.

[4] _ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، (د ، ط)، (د ، ت)، ج1، ص: 718.

[5] _ البقرة / 124.

السامعين بإبراهيم وشؤونه حتى كأنه حاضر بينهم وكأن أحواله حاضرة مشاهدة"[1] وهذه الآية بما فيه من دلالات تجعل القارئ في ديمومة مستمرة ومتجددة في تذكر قصص الأنبياء والامتثال أمامها والاقتداء بها.

2-1- دلالة على تجسيد المشهد واستحضاره:

تعد دلالة الفعل المضارع أكثر قوة وثباتاً وجمالاً هادفاً بوجوده في القرآن الكريم؛ هذا لأن "القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التعبير والأداء"[2] ومن الدلالات التي تهز كيان القارئ ومستوعباً مضامينها نجد قال الله تعالى: **{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) }**[3].

دلالة الفعل المضارع في الآية الكريمة قال الله تعالى: **{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ}** دلالة على أن المعركة دارت فعلاً "وأنجز الله تعالى لهم وعده ففر المشركون أمامهم تاركين كل شيء هاربين بأنفسهم والمؤمنون يحسونهم حساً أي يقتلونهم قتلاً بإذن الله وتأييده لهم"[4] وهذا الحدث المميز فيه تجسيد للمشهد واستحضار لتحقق وعده سبحانه وتعالى بأن تقاتلوا والمشركين وتهزموهم شر هزيمة وذلك شريطة طاعة أمر الله.

وفي سياق متصل يقول فخر الدين الرازي أنه "تعالى لما وعدكم بالنصر لكن شرط التقوى والصبر على الطاعة فما دمتم وافين بهذا الشرط أنجز وعده ونصركم على أعدائكم فلما تركتم الشرط وعصيتم أمر ربكم لا جرم في ذلك ولكن زالت تلك النصرة"[5] إن إزالة النصرة وعدم تحققها ذلك لعدم التقيد بأمر الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، والفعل المضارع قد نقل لنا المشهد بمختلف أحداثه وأطواره

---

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص: 718.

[2] ـ التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، ط1، (د ، ت)، ص: 13.

[3] ـ آل عمران / 152.

[4] ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، بهامشه: نهر الخير على أيسر التفاسير، أبي بكر جابر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط3، 1418هـ، 1997م، مج:1، ص: 393.

[5] ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ، 1981م، ج9، ص: 36.

بالرغم من حيزه الماضي وكأن مشاهده واقعة أمامنا، وهذا من أسرار جمالية دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم.

وما يؤكد هذه الدلالة الزمنية للفعل المضارع الدالة على الماضي ماذهب إليه محمد الطاهر بن عاشور بقوله: بأن القرينة (إذ) التي لها دلالة زمنية تصرف الفعل المضارع **-تَحُسُّونَهُم-** إلى الماضي وبما أن خاصيته الاستمرارية بهدف التجديد فإننا نلمس من هذه الآية أن وعد الله صادق بما فيه تذكير بعدم تحمل المسلمين لشروط الانتصار ففي الفعل **-تَحُسُّونَهُم-** تجدد الحس لحكاية ماضية[1] يستشعرها القارئ والمستمع لها لأن أسلوب المضارع يُعيشه تلك الأحداث -غزوة أحد- بمختلف مشاهدها وتنمي فيه ثقته بالله تعالى وتبيان مدى عفوه.

2- دلالته على الحاضر:

2-1- تذكير بحسن العاقبة وتهديد المشركين:

قد بين بكري عبد الكريم مجيء الفعل المضارع الدال على زمن الحال بقوله: "دلالة يفعل على الحاضر وإنما تدل عليه بقرائن لفظية أو معنوية أو يدرك في السياق القرآني"[2] كقوله تعالى: **{ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (19) }**[3]

فدلالة الفعل المضارع وسياقها دال على الحاضر يقول محمد الطاهر بن عاشور "جعل الله قصة قوم فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل مثلاً لحال المشركين مع النبيء صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، وجعل ما حل بهم إنذاراً بما سيحل بالمشركين من القحط والبطشة مع تقريب حصول ذلك وإمكانه ويسره وإن كانوا في حالة قوة فإن الله قادر عليهم"[4] ودلالة الفعل المضارع **-آتِيكُم-** إلى صيغة الماضي لأنها أتت بعد (إن) التي تفيد في الغالب على استقرار الزمان وثبوته[5] وهنا تتضح أن دلالة الحالية تستقر بفضل القرائن اللفظية أو المعنوية وحتى السياق له دور في ذلك كما جاء في سياق هاته الآية الكريمة.

---

[1] ــ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج4، ص: 127.

[2] ــ الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، د. بكري عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م، ص: 107.

[3] ــ الدخان / 19.

[4] ــ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج24، ص: 294.

[5] ــ ينظر: الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، د. بكري عبد الكريم، ص: 108.

3- دلالته على الاستقبال:

3-1- دلالته على التخويف والتهويل:

وقد تأتي دلالة الفعل المضارع دالة على زمن المستقبل كما في قوله تعالى: { **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22)** }[1] أي دلالة الفعل المضارع -**نَحْشُرُهُمْ**- قد دل على زمن المستقبل وهو يوم القيامة والذي أحالنا هو الظرف الذي سبق به الفعل الفعل المضارع -**يَوْمَ**- يقول الألوسي "منصوب على الظرفية بمضمر يقدر مؤخراً وضمير (**نَحْشُرُهُمْ**) للكل أو للعابدين للآلهة الباطلة مع معبوداتهم و(**جَمِيعًا**) حال منه أي ويوم نحشر كل الخلق أو الكفار وآلهتهم جميعاً ... وترك الفعل من الكلام ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف والتهويل"[2].

وعلى هذا يتضح أن صيغة المضارع (يفعل) في القرآن الكريم تستند "على القرائن للدلالة على الاستقبال وهي قرائن تجعل الفعل يساير اتجاه الزمن في السياق القرآني لذلك لم يستطع النحاة الوقوف عندها أو تحديدها"[3] لأن كل قرينة مرتبطة بسياق يحدد دلالتها الزمنية أحياناً وأحياناً أخرى القرينة هي التي تعمل في تحديد الدلالة الزمنية المستقبلية.

4- دلالته على الزمن العام:

4-1- الإصرار على الفعل:

عندما يدل الفعل المضارع على معنى العموم يفسر ذلك أحد الوجهين[4]:

الأول: عندما يأتي في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص ولكنه يحدث في كل زمان.
الثاني: عندما يدل على تقليد سارت عليه طائفة من البشر أو أمة من الأمم.

وجاءت هذه المعاني في القرآن الكريم، قال الله تعالى: { **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)** }[5].

---

[1] ـــ الأنعام / 22.
[2] ـــ روح المعاني، الألوسي، ج7، ص: 121.
[3] ـــ الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، د. بكري عبد الكريم، ص: 116.
[4] ـــ ينظر: الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، د. بكري عبد الكريم، ص: 111.
[5] ـــ الأعراف / 138.

يوجه الزمخشري الفعل المضارع محدداً دلالته بالدلالة المطلقة حين قال: "تعجب من قولهم ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده؛ لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع"[1] فدلالة المطلقة تشمل جميع الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبل للذي يتصف بهذا الفعل الشنيع.

يقول أبي حيان موجها هذا العدول: "ووصفهم بالجهل المطلق وأكده بـــ(إن) لأنه لا جهل أعظم من هذه المقالة ولا أشنع وأتى بلفظ (**تَجْهَلُونَ**) ولم يقل جهلتم إشعاراً بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في ماض ومستقبل"[2] فعدم تحديد الزمن دال على أن الخطاب مستمر في جميع الأزمنة ماضية كانت أو لاحقة.

الخاتمة:

وفي الختام نستنتج أن:

1- دلالة الفعل المضارع لا يمكن ضبطها بقواعد زمنية معينة لأنها تتغير دلالتها الزمنية بالقرائن تارة وبالسياق تارة أخرى كما نجد أن دلالة الفعل المضارع يَعدل عن أصله الحال والمستقبل ليدل على الزمن الماضي وأحياناً يشمل كل هذه الأزمنة ليدل على الزمن العام.

2- دلالة الفعل المضارع الواحدة لها عدة توجيهات دلالية تثري لنا الموضوع وتنوعه ويجعله هادفاً في حياتنا اليومية.

هكذا نجد أن دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم لها جوانب دلالية تضفي دورها على الفرد والمجتمع في نشر التقارب والتعايش والابتعاد عن الضغائن، وتجعل القارئ والمستمع له ترسخ فيه ثقافة الاستيعاب مبتعدين بذلك عن العصبية، بفهم المكنونات بأدق تفصيلها التي ترشدنا إلى الطريق القويم.

---

[1] ـــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418ه، 1998م، ج2، ص:499.

[2] ـــ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م، ج4، ص: 377.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

1- أبي الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرسي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، إعداد: سلطان بن محمد بن سعود الكبير، دار طيبة، السعودية، ط1، 1418ه، 1997م، ط2، 1420ه، 1999م.

2- أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د ، ط)، (د ، ت).

3- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معّوض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418ه، 1998م.

4- أبي بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، بهامشه: نهر الخير على أيسر التفاسير، الناشر مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط3، 1418ه، 1997م.

5- بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م.

6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، (د ، ط)، (د ، ت).

7- عائشة بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط1، (د ، ت).

8- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط2، 1428ه، 2007م.

9- محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفحر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401ه، 1981م.

10- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، (د ، ط)، (د ، ت).

11- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م.

12- محمد عبد الرحمن الريجاني، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء، القاهرة، (د، ط)، (د ، ت).